بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمة شهرية بعنوان:

وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطَىً مَشَاهَا

بقلم

محمد بن سعيد الأُندلسي

عفا الله عنه

الحمـد للـه رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا محمـد وعلـى آلـه وصحبه والتـابعين أمـا بعـد فقـد بكى أبـو الـدرداء عنـد فـتح قبرص، فقـال لـه جبير بـن نفير: «أتبكي وهـذا يـوم أعـز اللـه فيـه الإسـلام وأهلـه؟»، فقـال: «ويحـك إن هـذه كانـت أمـة قـاهرة لهـم مُلْكٌ، فلمـا ضـيعوا أمـر اللـه صـيرهم إلى مـا تـرى، سـلط اللـه علـيهم السـبي، وإذا سُـلِّطَ على قـوم السـبي فلـيس للـه فـيهم حاجـة»، وقـال: «مـا أهـون العبـاد علـى اللـه تعـالى إذا تركـوا أمـره؟»[1] ... صـدق والـذي رفـع السـماء فالـذي قالـه أبـو الـدرداء على أهـل قبرص يقـال في هـذه الأمـة لمـا تركـت أمر الله تعالى فصيرهم إلى ما ترى ونرى ...

يـــا قومنــــا إن الجـــرح متســـعٌ فهـل تـرى مـن نزيـف الجـرح نعتبر؟
مـــاذا ســـوى عـــودة للـــه صـــادقةٌ عسـى أن تُغيَّـر هـذه الحـال والصـور

لسـت هنـا لأذكـر هـذه الأمـة بحـالهم وأوصِّـف أوضـاعهم فهـذا تحصـيل حاصـل ولكني أريـد أن ألفـت نظـر القلـة مـن المسـلمين إلـى مـا وراء هـذا الواقـع الـذي نعيشـه ومـا يترتـب على هـذه الحـال مـن المـآل حتى لا يـأتي اليـوم الـذي يعـم فيـه الهلاك ويضـيع الـدين فيلـوم المسـلم نفسـه بعـد الغـرق ويقـول: يـا ليـت مـا ذهـب يعـود فنسـعى في بنـاء صـرح الجماعـة وتشـييد سـفينة النجـاة ... إن الأمـواج المتلاطمـة مـن الفـتن في هـذا الـزمن كفيلـة أن تقتلـع جبـالا راسـخة مـن مكانهـا أو تزعزعهـا عـن مضـانها، فـلا تحسـب أخي المسـلم أن الأمـر هـين أو أنـك بمـأمن أو بمـلاذ منهـا فـلا يـأمن على الـدين في هـذا الـزمن إلا جاهـل هالـك ... لـذلك وجـب الخـوف الشـديد على الـدين والسـعي في الحفـاظ عليـه بكـل السـبل والوسـائل وبكل غـال ونفـيس، قَـالَ الْحَسَـنُ:" يَـا ابْـنَ آدَمَ دِينَـكَ دِينَـكَ فَإِنَّـهُ لَحْمُـكَ وَدَمُـكَ إِنْ يَسْـلَمْ لَـكَ دِينُـكَ يَسْـلَمْ لَـكَ لَحْمُـكَ وَدَمُـكَ وَإِنْ تَكُـنِ الْأُخْـرَى فَنَعُـوذُ بِاللـهِ فَإِنَّهَـا نَـارٌ لَا تُطْفَـأُ وَجُـرْحٌ لَا يَبْـرَأُ وَعَـذَابٌ لَا يَنْفَـدُ أَبَـدًا وَنَفَـسٌ لَا تَمُـوتُ"[2] ... والحفـاظ علـى

[1] البداية والنهاية ٧/ ١٧٢

[2] حلية الأولياء ٢/١٤٥

الـدين في هـذا الـزمن يحـتم علينـا المشـي في خطـى كتبـت علينـا ولـم نخترهـا ... إنهـا الخطى في إقامة الجماعة المسلمة في هذا الزمان.

مَشَــيْنَا فِـيْ خُطَـىً كُتِبَـتْ عَلَيْنَـا   وَمَــنْ كُتِبَــتْ عَلَيْــهِ خُطَـىً مَشَــاهَا
وَمَــنْ كُتِبَــتْ مَنِيَّتُــهُ بِــأَرْضٍ   فَلَــيْسَ يَمُــوْتُ فِــي أرْضٍ سِــوَاهَا

إن حتميـة المضـي في هـذا الطريـق تتولـد مـن قناعـة المسـلمين في عـدم القـدرة على مواجهـة الباطـل فُـرادى إلا ضـمن الجماعـة المسـلمة التي هي بمنزلـة الـروح لجسـد يعـيش بـين هـذه الأنظمـة والأوضـاع وسـط هـذه الجاهليـة والضـباع .... إنـه الطريــق لإعــادة الصــحوة الصــحيحة لأمــة كانــت خيــر أمــة أخرجــت للنــاس فانـدثرت بـين أمـم الشـرك والوثنيـة عبـر عُقـود خلـت، فَخلفهـا خُلـوفٌ جاهليـة بدلت دينها وغيرت جلدتها وباعت قضيتها بثمنٍ بخيس وعوضٍ خسيس.

الجماعـة التي تتمثـل فيهـا حاكميـة اللـه والسـمع والطاعـة والتلقـي عـن اللـه عبـر القيـادة المسـلمة التي يرتضـيها المسـلمون لإقامـة أمـر اللـه ... الجماعـة التي تـوازي التجمـع الجـاهلي وتعمـل على تهيئـة البيئـة التي يسـتطيع فيهـا المسـلم أن يعـيش بدينـه في جميـع الظـروف بتحقيـق الحـد الأدنى مـن الواقـع الممكـن فيـه تنزيـل نظريـة الجماعـة المسـلمة .... الجماعــة التي تقــوم على آصــرة العقيــدة الصـحيحة والأخـوة في اللـه والتكافـل الاجتمـاعي وتعـويض الضـرر المـادي الـذي قـد يلحـق مـن تـرك الجاهليـة فيجـد مُعـين لـه على الإسـلام وتـأليف لـه على الإيمـان .... الجماعـة التي ترسـم الطريـق وتُعبِّـد المسـير للملتحقـين بهـا حتى لا ينزلـق في هـوة الجاهليـة ويـرتكس في وحلهـا ويـتلطَّخ بـدرنها فتكـون منـاراً يسـير عليهـا الحيـران وكيانـاً يـأوي إليـه الهـارب الظمئـان الفـار إلى اللـه مـن مزالـق النيـران ....إنـه لـيس هـو البـديل بـل هـو الأصـل الأصـيل الـذي دونـه الضـياع في دوامـة الكفـر الرذيـل ....إنهـا الجماعــة التي تقــوم فيهــا حاكميــة اللــه على أفرادهــا وتتحقـق فيهـا العبوديـة للـه تعـالى وتكـون سـراجاً للمسـلمين الجُـدد تسـوقهم نحـو بـرِّ النجـاة ... الجماعـة التي تعمـل على إيجـاد مـوطئ قـدم لهـا في هـذه الجاهليـة

تكـون منـه الانطـلاق إلى إقامـة ديـن اللـه في أرض علاهـا الكفـر وأنـاخ في جوانبهـا الظـلام وخـيَّم في أجوائهـا الضـلال ...إنهـا قضـية كـل مسـلم وهَّـمُ كـل موحِّـد ... ونحـن مكلفـون بالسـير ونصـب السـراج والمضـي على الطريـق وقـد نصـل وقـد لا نصـل ونحـن على يقـين أنـه سـتقوم قائمـة لجيـل فريـد يفـتح اللـه على يديـه ديـار هـــــذه العبيـــــــد ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[يوسف٢١]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين



